

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

@ 395 الرسوخ فيه ، وهو معنى هذه المرتبة ، بادروا إلى الانقياد والإيمان ، حين عرفوا من علمهم أن ما جاء به موسى عليه السلام حق ليس بالسحر ولا الشعوذة ، ولم يمنعهم من ذلك التخويف ولا التعذيب الذي توعدهم به فرعون . وقال تعالى : (^ وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون) (فحصر تعقلها في العالمين . وهو قصد الشارع من ضرب الأمثال . وقال : (^ أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟) (ثم وصف أهل العلم بقوله : (^ الذين يوفون بعهد الله) إلى آخر الأوصاف ، وحاصلها يرجع إلى أن العلماء هن العاملون . وقال في أهل الإيمان - والإيمان من فوائد العلم - : (^ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) (إلى أن قال : (أولئك هم المؤمنون حقا) (. ومن هذا قرن العلماء في العمل بمقتضى العلم بالملائكة الذين (^ لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) فقال تعالى : (^ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو) (. فشهادة الله تعالى وفق علمه ظاهرة التوافق ، إذ التخالف محال ، وشهادة الملائكة على وفق ما علموا صحيحة لأنهم محفوظون من المعاصي ، وأولو العلم أيضا ، كذلك من حيث حفظوا بالعلم . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا نزلت عليهم آية فيها تخويف ، أحزنهم ذلك ، وأقلقهم ، حتى يسألوا النبي ، كنزول آية البقرة : (^ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) الآية . وقوله : (^ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية . وإنما القلق والخوف من آثار العلم بالمنزل . والأدلة أكثر من إحصائها هنا ، وجميعها يدل على أن العلم المعتبر هو الملجئ إلى العمل به . فإن قيل : هذا غير ظاهر من وجهين : .

أحدهما : أن الرسوخ في العلم ، إما أن يكون صاحبه محفوظا به من المخالفة أو لا ؛ فإن لم يكن كذلك ، فقد استوى أهل هذه المرتبة مع من قبلهم . ومعناه أن العلم بمجرد